*

مناظرات في الأدب

الأولى	بين السيف والقلم	للشيخ جمال الدين بن نباتة المصري
الثانية	بين الورد والنرجس	للشيخ أبي الحسن علي بن محمد الماردبني
الثالثة	بين القنديل والشمعدان	للشيخ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

جمعها وشرح ألفاظها

عزت العطار

سكرتير لجنة الشبيبة السورية بمصر

*

الى ذي الرياستين الدينية والسياسية

رجل سوريا الأوحد ووزيرها الأكبر

صاحب الفخامة

الشيخ محمد تاج الدين الحسني

رئيس الوزارة السورية الافخم

*

*

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

هذه ثلاث مناظرات أدبية شيقة لثلاثة من أعلام الأدب العربى أولاها «بين السيف والقلم» للشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى. وثانيتها «بين الورد والنرجس» للشيخ أبى الحسن على بن محمد الماردينى. وثالثتها «بين القنديل والشمعدان» للشيخ عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى. رأيناها متفرقة بعيدة عن متناول أيدى جمهرة القراء مع ما اشتملت عليه من محاورات لطيفة، وتوريات جميلة، واشارات إلى وقائع وأمثال مشهورة، وحجج وبراهين كالدرر منثورة. كل ذلك بأسلوب طلى شيق أخاذ بمجامع القلوب، جذاب غير ممل لا يكاد الانسان يأخذ فى قراءة واحدة منها حتى يظن نفسه فى مجلس عقد للمناظرة حقيقة، وانه يشاهد خصمين يتحاجان يستمع إلى حججهما حتى إذا ظن أن الحق مع أحدهما قام الآخر يهدم ما بناه صاحبه ويفند مزاعمه. وهكذا لا يزال يسمع حجة تقرع حجة، ودعابة تقابل بمثلها، إلى فكاهات لذيذة بريئة ولا يستطيع قطع هذا الحلم اللذيذ حتى يأتى على آخر المحاورة فيتبين انها مناظرة مصطنعة ومخاصمة خيالية وهى إلى ذلك تصور ناحية من نواحى الأدب العربى

المتع . وهى المناظرات التى ألفوا وضعها على ألسنة الحيوانات والجمادات فاحببنا تقديمها إلى القراء الكرام طرفة أدبية تضم إلى المكتبة الحديثة ورأينا أن الناشيء لا يستقل بفهم بعض مفرداتها اللغوية الغامضة فشرحناها بتعليقات وجيزة تساعد القارئ على فهم المراد منها ونرجو أن نكون وفقنا إلى ما أردنا

عزت العطار

سكرتير لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة

*

المحاورة الأولى

بين السيف والقلم لابن نباتة المصرى

قال العلامة تقى الدين بن حجة الحموى أن الشيخ جمال الدين أظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ماصدق به قول القائل

وانى وان كنت الأخير زمانه　　لآت بما لم تستطعه الأوائل

من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما . والمغايرة فى مدح كل منهما وذمه . فبرز القلم بأفصاحه . ونشط لارتياحه . ورقى من الأنامل [1] على أعواده . وقام خطيب بمحاسنه . فى حلة مداده والتفت إلى السيف فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم . وخط به ماقدر وقسم . وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال « جف القلم بما هو كائن » وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين . وكل مجد بائن . صلاة واضحة السطور . فائحة من أدراج الصدور . ماتقات صحف البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق [2] الدياجى حكمة باريها .

أما بعد : فأن القلم منار الدين والدنيا ، ونظام الشرف والعليا . ومجداح [3] سحب الخير إذا احتاجت الهمم إلى السقيا . ومفتح باب

---

(١) رؤس الأصابع (٢) : صحف : واحده مهرق بضم الميم وبفتح الراء . الصحيفة (٣) : الجداح : النوء . وهو ما كانت تعتقده العرب سبباً للأمطار من غروب نجم وشروق آخر . والمعنى سبب سحب الخير

اليمن المجرب إذا اعي . وسفير الملك المحجب ، وعذيق الملك المرجب[1] وزمام اموره السائرة ، وقادمة[2] أجنحته الطائرة ، ومطلق أرزاق عفاته[3] المتواترة . واعلة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة ، به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل . وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل[4] فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة وحسبه ماجرى على يده الكريمة من منة . وفى مراضى الدول عونة للشائدين . وبعين الله فى ليالى النقس[5] تقلب وجهه فى الساجدين . ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سالكها . وان عاث أسرة الكتب فانما هو مالكها . وان رقمت برود البيان فانما هو جلالها . وان تشعبت فنون الحكم فانما هو أمانها ومالها . واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو عصمها وثمالها[6]

وان اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتافع[7] بسواده . وان ذخرت بحار الأفكار فانما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده وان وعد اوفى بجلب النفع . وان أوعد اخاف كانما يستمد من النقع[8] هذا وهو لسان الملوك المخاطب . ورسيلها[9] لابكار الفتوح والخاطب والمنفق فى تعمير دولها محصول انفاسه . والمحتمل أمورها الشاقة على عينه ورأسه . والمتيقظ لجهاد أعدائها ، والسيف فى جفنه[10] نائم .

---

(١) المهاب العظيم (٢) : القادمة واحدة : القوادم هى عشر ريشات فى مقدم جذع الطائر (٣) : طلاب معروفه (٤) : الفاسدة (٥) : الحبر (٦) : الغياث الذى يقوم بأمرها . (٧) : المتتف (٨) : الغبار (٩) : رسولها (١٠) غمده

ذ والجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم . والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان . والمسود الناصر فكأنما هو لعين الدهر انسان . طالما ذب عن حرمها فشد الله أزره . ورفع ذكره . وقام فى المحاماة عن دينها اشعث [١] أغبر . لو اقسم على الله لأبره . وقاتل على البعد والصوارم فى القرب . وأوتى من معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب . وبعث جحافل [٢] السطور فالقسى [٣] دالات . والرماح الفات واللامات لامات [٤] . والهمزات كواسر الطير التى تتبع الجحافل . والأتربة عجاجها الحمر من دم الكلى والمفاصل . فهو صاحب فضيلتى العلم والعلم . وصاحب ذيلى الفخار فى الحرب والسلم . لايعاديه الا من سفه نفسه . ولبس لبسه . وطبع على قلبه . وقل الجدال من غربه [٥] وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه . وكيف يعادى من اذا كرع [٦] فى نفسه قيل انا اعطيناك الكوثر . واذا ذكر شانئة السيف قيل ان شانئك هو الأبتر . أقول قولى هذا واستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه . وأتوكل على الله فيما حكم . واسأله التدبير فيما جرى به القلم . ثم اكتفى بما ذكره من أدواته : وجلس على كرسى دواته متمثلا بقول القائل .

قلم يفل [٧] الجيش وهو عرمرم والبيض ماسات من الأغماد

---

(١) : الرجل مغبر الرأس (٢) : جمع جحفل وهو الجيش (٣) : جمع قوس شبه الدالات التى يكتبها القلم بالاقواس (٤) : اللامة : الدرع : وجمعها لامات شبه اللامات التى يكتبها القلم بالدروع . (٥) : حده (٦) : شرب الماء بفمه من غير إناء (٧) : يكسر

وهبت له الآجام[1] حين انشابها ... كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا . وتلمظ[2] اسانه للقول . مرتجلا وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز . الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف . وشرع حدها فى ذوى العصيان فأغصتهم[3] بماء الحتوف . وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص : وتقد مرصوف . واجناهم من ورق حديدها الأخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف . وصلى الله على سيدنا محمد هازم الألوف . وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا ببريق الصوارم سطور الصفوف صلاة عاطرة فى الانوف حالية بها لاسماع كالشنوف[4] وسلم

أما بعد : فإن السيف زند الحق الورى[5] وزنده القوى . وحده الفارق بين الرشيد والغوى والنجم الهادى الى العز وسبيله . والثغر الباسم عن تباشير فلوله . به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء . وجلى شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاء . وأجرى سيوفه بالاباطح . فاما الحق فكث وأما الباطل فذهب جفاء[6] وحملته اليد الشريفة النبوية وخصته على الأقلام بهذه المزية . وأوضحت به للحق منهاجا . واطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا . وفتحت باب الدين بمصباحه حتى دخل

---

(١) : الحصون . (٢) : دار فى جوانب الفم استعدادا للكلام (٣) جعلتهم يغصون (٤) : الاقراط تحلى بها الآذان (٥) : كثير الانقاد (٦) : باطلا

فيه الناس أفواجا . فهو ذو الرأى الصائب . وشهاب العزمة الثاقب وسماء العز التى زينت من آثاره بزينة الكواكب ؛ والحد الذى كأنه ماء دافق. يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والترائب . لا تجحد آثاره . ولا ينكر قراره . اذا استمت[1] فى الدجى والتقع ناره . يجمع بين الحالتين البأس والكرم . ويصاغ فى طوق الحالتين فهو اما طوق . فى نحور الاعداء واما خلخل فى عراقيب أهل النقم . ويحسم به أهواء الفتن المتألة ويحذف بهمته الجازمة حروف العلة . واذا انحنى فى سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهلة . فهو القوى الاستطاعة الطويل العمر إذا قصف سواد فى ساعة . فما أولاه بطول الاحسان وما أجل ذكره فى أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان . كأن الغيث فى غمده للطالب المنتجع[2] وكأنه زناد يستضاء به إلا أن دفع الدماء شرره المنتمع . كم قد مد فأدرك الطلاب . ودعا النصر بلسانه المحمر من اثر الدماء فأجابه . وشعبت الدول لقائم نصره المنتظر . وحازت أبكار الفتوح بحده الذكر[3] وغدت أيامها به ذات حجول[4] معلومة وغرر ، وشدت به الظهور . وحمدت علائقه فى الأمور . واتخذته الملوك حرزاً لسلطانها وحصناً على أوطانها وقطانها[5] وجردته على صروف الأقدار فى شأنها وندب فما أعيت عليه المصالح ، وبالمشر اللمم[6] فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال فرق واضح . وأغاث فى كل فصل . فهو اما الغمده سعد

---

(١) : اشتمات (٢) : طالب الكلاء (٣) : القاطع (٤) : حجول جمع حجل وهو الخلخال «٥» : سكانها «٦» : صغائر الذنوب .

الاخمية ، واما لحامله سعد السعود . واما لضده سعد الذابح . يجلس على رؤس الاعداء قهرا ، ويشرح أبناء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا . وهل يفاخر من وقف الموت على بابه ، وعض الحرب الضروس بنابه . وقذفت شياطين القراع [١] بشهبه ، ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه . ومنها ان الله أنشأ برقه فكان للمارد مصرعا وللرائد [٢] مرتعا . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا . كم اتخذ من جسد طرسا [٣] وكتب عليه حرفا لايناسى . فيه للالباب عبرة . وللأذهان السابحة غمرة [٤] بعد غمرة . أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم من لفظ يجمح [٥] ورأى الى الخصام يجنح . ولسان نحوجه اللدد [٦] الى أن يخرج فيجرح . وأتوكل عليه فى صد الباطل وصرفه ، وأسأله الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه . ثم اختفى فى بعض الحمائل وتمثل بقول القائل :

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه ۔۔۔ فانى رأيت السيف أفصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة ، ونشطته الجليلة الجائلة ، وفهم كنايته وتلويحه . وتعريضه بالذم وتصريحه . وتعديله فى الحديث وتجريحه ، استغاث باللفظ النصير . واحتد وما أدراك ماحدة القصير وقام فى دواته وقعد . واضطرب فى وجه القرطاس وارتعد . وعدل الى السب الصراح ورأى أنه ان سكت تكلم ولكن بافواه الجراح

«١» : الحرب : «٢» : الذى يطلب المرعى «٣» : صحيفة «٤» : شدة
«٥» : يتعدى الحد «٦» الخصومة

فانحرف الى السيف وقال .

أيها المعتز بطبعه . المغتر بلمعه . الناقض حبل الانس بقطمه . الناسخ بهجيره من ظلال العيش فيأ (١) السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً . الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الأبليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين اتعرض بسبي . وتتعرض لمكائد حربى . ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة . والمنن النافعة ولا خير فيمن لاتبغى الانام نفعه . ألست المسود الأحق بقول القائل .

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الجود والاقداما

أتفاخرنى وأنا للوصل وأنت للقطع . وأنا للعطاء وأنت للمنع . وأنا للصلح وأنت للضراب . وأنا للعمارة وأنت للخراب . وأنا المعمر وأنت المدمر . وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد . وأنت العابث وأنا المجود (٢) ومن أولى من القلم بالتجويد . فما أقبح شبهك وما أشنع يوما نرى فيه العيون وجهك . أعلى مثلى يشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين . وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى « أو من ينشأ في الحلية وهو فى الخصام غير مبين » فقد تعديت حدك . وطلبت مالم تبلغ به جهدك هيهات أنا المنتصب لمصالح الدول . وأنت فى الغمد طريح . والمتعب فى تمهيدها وأنت غافل مستريح . والساهر وقد مهد لك فى الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره . فأى

«١» : ظلا (٢) : المصلح

الخالتين أرفع. والساعى فى تدبير حال القوم، والمدنى لنفعهم العمر إذا كان نفعك يوما أو بعض يوم. فاقطع عنك أسباب المفاخرة. واستر أنيابك عند المكاشرة فأحسن بالعمامة مجاورة المصيح. والله يعلم المفسد من المصلح. على أنه لا ينكر لمثلك التصدى. ولا يستغرب منه على مثلى التعدى. بما أنا أول من أطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان إليه. أو لست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قد سلبت الرحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. وجانبت القسوة. فكم هيجت سبة [١] حمراء وأثرت دهما. وخمشت [٢] الوجوه وكيف لا وأنت كالظفر كونا [٣] وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا أين بطشك من حامى. وجولك من عامى. وجسمك من جسمى.

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب وذات جسمى وجسم صيغ من بهق [٤]

أين عينك الزرقاء من عينى الكحيلة. ورؤيتك الشنعاء من رؤيتى الجميلة. أين لون الشيب من لون الشباب وأين نذير الاعداء من رسول الاحباب. هذا وكم أكلت الاكباد غيظا وحميت الاضغان قيظا [٥] وشكوت الصدأ فسقيت ولكن بشواظ من نار وأخنت عليك الأيام حتى اتصل بإبعاضك [٦] الحمار. ولولا تعرضك إلى لما وقعت فى المقت. ولولا إساءتك لما كنت تصقل فى كل وقت. فدع عنك هذا

«١» عاراً «٢» جرحت «٣» حلقة وهيأة ٤ بياض يعترى الجلد يشبه البرص وليس منه (٥) شدة الحر ٦ : اجزائك

الفخر . وتأمل وصفي إذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد .
وافهم قول ابن الرومي .

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت	له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شيء يعادله	مازال يتبع مايجري به القلم
بذا قضى الله في الأقلام إذ بريت	أن السيوف لها مذ ارهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قدره ، وكاد الغضب يخرجه عن حده وقال .

أيها المتطاول على قصره : والماشي على طريق غروره . والمتعرض مني إلى الدمار . والمتحرش بي فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويحترس بالنار . لقد شمرت عن ساقك حتى اغرقتك الغمرات [١] وأتعبت نفسك فيما لا تدرك الى أن أذهبها التعب حسرات . أولست الذي طالما ارعش السيف لهيبة عطفك [٢] ونكس للخدمة رأسك وطرفك . وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفاك . وشق أنفك . ورفعك في مهمات خاملة وحطك . وجذبك للاستعمال وقطعك . فليت شعري كيف جرت وعبست على مثلي وبسرت [٣] وأنت السوقة وأنا الملك . وأنا الصادق وأنت المؤتفك . وأنت اصون الحطام ، وأنا اصون الممالك . وأنت لحفظ المراوع وأنا لحفظ المسالك . وأنت للفلاحة وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل [٤] من نفسه . وأنا ساري الصباح . وأنا

---

(١) الشدائد (٢) عطف كل شيء جانبه ٣ بمعنى عدوت ٤ يقال لمن لا يهتدي إلى ما يريد

الباصر ، وأنت الأرمد . وأنا المخدوم الابيض وأنت الخادم الاسود . وأقسم بتن صير فى قبضتى أنواع اليمن [١] المسخرة . وجعل فى شخصك وشخصى كقوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » إنك عن بلوغ قدرى لاذل رتبة ، وعن برى كفى لاخيب طلبة فأنى لاأنكر قول بعض أربابك حيث قالوا

أف لرزق الكتبة   أف له ما أصعبه
يرتشف الرزق به   من شق تلك القصبه
ياقلما يرفع فى الطرس لوجهى ذنبه
ماأعرف المسكين الا   كاتبا ذا متربه

إن عاينت الديوان وقعت فى الحساب والعذاب ، أو البلاغة سحرت وبالغت فانت ساحر كذاب ، أو فخرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمحة الطرف . أو برقم المصاحف فأنك تعبد الله على حرف ، أو جمعت عملا فانما جمعك للتكسير . أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير ، وهل أنت فى الدول الاخيال تكتفى الهمم بطيفه أو أصبع يلحق [٢] بها الرزق إذا أكل الضارب بقائم سيفه . وساع على رأسه فلا ماأجدى . وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقف وأكدى أين أنت من حظى الاسنى وكفى الاثنى . وماخصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فما أغنيت فى مهمة وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة الى

(١) البركة «٢» : يلحس

خلمة ؛ وهب انك كما قلت مفتوق اللسان ـ جرى الجنان.مداحل [١] بخلبك بين ذوى الاقتناص ؛ معدود من شياطين الدول وأنت فى الطرس والنقس [٢] بين بناء وغواص ، فلو جريت خافى إلى أن تحفى [٣] وصحت بصريرك الى أن تحفت وتخفى : فما كنت منى الا بمنزلة المدرة [٤] من السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بمعجزى فانك مين يمين [٥] ولا تخاف لهـا أن تبلغ مداى فليس لمخضوب البنان يمين ومن صلاح نجمك أن تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بمعجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقاً وتسلم من نار حر تاظى لا يصلاها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حصائد لسانك الا أن توقعك فى النار فلا رعى الله عزائمك القاصرة ولا جمع عقارب ليل نفسك التى ان عادت فأن نعال السيوف لها حاضرة ثم قطع الكلام وتمثل بقول أبى تمام

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى ... متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذى أخرجه وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم ورأى أنه هو البادى بهذه المناقشة : والبادى أظلم رجع الى خداعه وتنحى عن طريق قراعه وعلم أن الدهر دهره . والقدر على حكم الوقت قدره وانه أحق بقول القائل

---

(١) : مخادع (٢) : الورق والحبر (٣) : حفى رقت قدمه أوحافره من كثر المشى (٤) : قطعة من الطين «٥» : يكذب

خدها معرب وأعجب من ذا . ان اعراب غيرها ملحون

فالتفت اليه وقال :

أيها المتهب فى قدحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ماهذه الزيادة فى السباب والتطفيف[١] فى كيل الجواب وأين علم الشيوخ عند جهل الشباب أما كان الاحسن بك أن تترك هذا الرفث[٢] وتقر أخاك على الشعث وتحلم كما زعمت أنك السيد وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الجيد أما تعلم انى معدنك فى تشييد المالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك أما أنا وأنت للملك كاليدين وفى تشييده كالركنين الاشدين وما أراك عبتنى فى الاكثر الا بنحول جسمى الذى ليس خلقه على وضعفه الذى ليس أمره الى على أن أشهى الخصور أعفها وأقوى الجفون أضعفها وأزكى النسمات أعلها وأدقها ، وهذه سادات العرب . تعد ذلك من فضلها الأظهر . وحسنها الأشهر . ولو أنك تقول بالفصاحة . وتقف فى هذه الساحة . لاسمعتك من أشعارهم . واتحفتك بما يفخرون به من آثارهم . وكذلك عيبك سواد خلقتى التى أكسبها الحب حلية صبغت صبغة حب القلوب والحدق . فبالله . وبالحجر الأسود من هذه الحجة البائرة . والكرة الخاسرة . وعلى هذه النسبة ما عبتنى به من فقر الانبياء . وذل الحكماء . على أن اطلاقات معروفى معروفة . وسطوات أمرى فى وجوه الاعداء المكسوفة مكشوفة . فاستغفر الله مما فرط فى مقالك . والتفويض من عوائد احتمالك . فلا تشمت بنا الأضداد .

«١» نقص المكيال (٢) الفحش من القول

ولا تساط بفرقتنا المفسدين فى الأرض أن الله لا يحب الفساد. واغضض الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا تشك أنى قسيمك ولو قيل لك ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض. وأن أبيت إلا أن تهدد وتجرد الشغب وتجدد. فاذكر محلنا من اليد الشريفة السلطانية. المالكية المؤيدة. أيد الله نعمها. وجازى بالاحسان شيمها. وأيقظ فى الآجال والآمال سيفها وقلمها. ولا عطل مشاهد المدح من أنسها. ولا أخل فرائض البأس والكرم من قيام خمسها [1] واقسم بمن بأسه بالليل وما وسق. ومن يثمر طلعته بالقمر اذا اتسق. لو تجاور الأسد والظباء بتلك اليد لوردا بالأمن فى منهل. ورتعا فى روض لا يجهل. ولو لجأ إليها النهار لما راعه بمشيئة الله الليل بزجر. أو الليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الأبيض من الفجر. وعلى ذلك فما ينبغى لنا بين تلك الأنامل غير سلوك الأدب. والمعاضدة على محو الأزمات والنوب. والاستقامة على الحق ولا عوج. والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج. هذه نصيحتى إليك والدين النصيحة والله تعالى يطلعك على معانى الرشد الصريحة. ويجعل بينك وبين ألغي حجابا مستوراً. وينسيك ما تقدم من القول وكان ذلك فى الكتاب مسطوراً

فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلا:

لأمر ما جدع قصير أنفه وأمسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيوف معروفة بالخلل ثم قال:

أيها الضيف الجبار البازغ فى ليل المداد نجماً وكم فى النجوم غرار. لقد

---

(١) الصلوات الخمس: يريد لا يشغله واجب عن واجب

فتظلمت من أمر أنت البادىء بظلامه وتسورت[1] إلى فتح باب انت السابق الى فتح ختمه. وقد فهمت الآن ماذكرت من أمر اليد الشريفة. ونعم ماذكرت وأحسن بما أشرت. وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن. ورددتك إلى أمك الدواة كي تقر عينها ولا تحزن. وسألت الله تعالى أن يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذى أحسن فانها اليد التى

لواثر التقبيل فى يد منعم　　لمحا براجم[2] كفها التقبيل

والراحة التى

تسعى القلوب لغوثها ولغيثها　　فيجيبه التأمين والتأميل

والأنامل التى علمها الله بالسيف والقلم ؛ ومكنها من رتبتى العلم والعمل؛ ودارك بكرمها آمال العفاة بعد أن ، ولا ؛ ولم . ولولا أن هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الخصل . ومجده الذى اذاجر ذيله ودّ الفضل . لو تمسك منه بالفضل لاطالت الآن فى ذكر مجدها الاوضح . وانصحت فى مدحها ؛ ولا ينكر لمثلها ان انطقت الصامت فافصح ثم إنك بعد ماتقدم من القول المزيد . والمجادلة التى عز أمرها على الحديد ؛ اقررت أنت اننا للملك كاليدين ولم تقر اينا اليمين ؛ وفى آفاقه كالقمرين. ولم تذكر أينا الوضاحة الجبين ؛ ومايشفى ضناى ويروى صداى الا أن يحكم بيننا من لا يرد حكمه. ولا يتهم فهمه ، فيظهر أينا المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل ؛ ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل. وقد رأيت أن يحكم بيننا المقام الاعظم الذى أشرت

---

(١) تسور الحائط : تسلقه (٢) عقد الاصابع

الى يده الشريفة . وتوسلت بمحاسنها اللطيفة ؛ فانه مالك زمامنا . ومنشىء غمامنا (١) ومصرف كلامنا . وحامل أعبائنا الذى ماهوى للهوى . وصاحب أمرنا ونهينا ؛ وتالله ماضل صاحبكم وماغوى ؛ ليفصل الأمر بحكمه ؛ ويقدمنا الى مجالسه الشريف فيحكم بيننا بعامه ؛ فقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقل بعد تقبيلنا الارض له فى ذلك البساط ؛ خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . فنشط القلم فرحا ؛ ومشى فى أرض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب وخر راكعا وأناب وقال سمعا وطاعة وشكراً لله على هذه الساعة ... «يابرد ذاك الذى قالت على كبدى» الآن ظهر ماتبغيان . وقضى الأمر الذى فيه تستفتيان ؛ وحكم بيننا الرأى المنير ونبانا بحقيقة الأمر ولا ينبئك مثل خبير ؛ ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على مايحكم به المالك ؛ وكانوا أحق بها وأهلها . وانتبه المملوك من سنة فكره . وطالع بما اختلج سوادهذه الليلة فى سره والله تعالى يديم أيام مولانا السلطان التى هى نظام المفاخر ؛ ومقام المآثر . وغوث الشاكى . وغياث الشاكر . ويمنع بظلال مقامه الذى لاتكسر الايام مقدار ماهو جابر ولاتجبر ماهو كاسر ان شاء الله تعالى

«١» غماما : يريد بذلك الخير والبركة

*

المحاورة الثانية

بين النرجس والورد

للشيخ الاديب العلامة أبى الحسن على بن محمد الماردينى

قال الشيخ :

الحمد لله الذى أنبت فى رياض [١] الخدود وردة الخجل . وزين أغصان القدود بنرجس حسن المقل . واوضح لذوى الادب سبيل البلاغة فاتضح . واستجلوا من وجوه المعانى عيون الملح . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفارق بين الشك واليقين . يقول غير متلبس وعلى الآل والاصحاب ماخجلت خدود الورد من تغازل عيون النرجس وبعد : فلما كان الورد والنرجس من أحسن الأزهار وصفا . وألطفها شكلا وأطيبها عرفا [٢] وقد اختلف بينهما فى التفضيل . وأيهما اذا حضر كان لبيت البسط تكميل . مثلتهما كالخصمين فى المناظرة واستنطقت لسان حالهما على سبيل المحاضرة فقال الورد .

الحمد لله الذى انزل فى محكم القرآن « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » والصلاة والسلام على نبيه محمد المبعوث الى الاسود والاحمر الذى نسخ بشريعته البيضاء ملة بنى الاصفر . وبعد فان الله تعالى فضلنى على سائر الزهر بأرفع المراتب . فوجب على شكر نعمته وشكر النعم واجب . فبى تتجمل المجالس والمحافل . كفانى الله عين حسودى فانا روض

«١» جمع روضة . البقعة المخضرة بأنواع النبات «٢» رائحة

ماسكى . والزهر جنودى . وما فيهم من فرح فى اعلامى السلطانية
وكيف لا يطيعونى وشوكتى فيهم قوية

فازورت احداق النرجس وقام على ساقه فى المجلس وقال :

اقسم بمن انزل فى كتابه المبين . صفراء فاقع لونها تسر الناظرين .
وحق محمد المحمود الذى أوحى اليه قتل أصحاب الاخدود [١] . لقد مدحت نفسك بالكمال مع نقصك . وما جرت النار الا الى قرصك . أتعيرنى بالاصفرار وهو لون التبر [٢] اذا انسبك . وتفتخر على بالاحمرار فما احمرك . فتأدب فى مقالك . واذكر سرعة زوالك . واحفظ حرمتك والا كسرت شوكتك .

فقال الورد :

ويلك ماأقوى عينك وأكثر مينك [٣] أتجعل مقامك مقامى وأنت من بعض خدامى ؛ ولو لم تكن قليل الحرمة ما كنت جالسا وأنت واقف فى الخدمة . ألك مثلى حسن منظر ومخبر . أما سمعت أن الحسن أحمر وان عيرتنى بقصر مدتى فقد استبنت عنى بخايفتى ولم يزل جمال المقامات . ومن خاف مثله مامات . أتحسب محاسنى مثل محاسنك متناهية وكيف ينقطع عملى ولى صدقة جارية ؛ فشتان بينى وبينك ؛ وان لم تنته عن جدالى قلعت بشوكتى عينك وانشد لسان حاله شعرا :

لجمال وجهى تشخص الأبصار	ولعز مجدى تخضع الازهار
لى بهجة وردية فى وجنتى	ولها من ورق الجديد عذار

«١» الاخدود حفرة مستطيلة «٢» التبر : الذهب قبل الضرب «٣» مينك : كذبك

وملابسي من سندس فتق الشذا[1] أكمامها فانفضت الازرار
فكأنني هذا الحبيب اذا بدا نشوان[2] قد دارت عليه عقار
لا غرو ان صرف المحب على حيا ة فكم في وجنتي دينار
حرمي غدا لذوي الخلاعة آمنا من حوله تتخطف الابصار
ولي المهابة والبهاء وأنت من حسد وغيظ قد علاك صفار
ماشانني قصر الزمان ولا يرى لك في لياليك الطوال فخار
لكن ايامي سرور كلها وكذاك أيام السرور قصار

فقال النرجس :

ياقليل المودة . وياقصير المدة . أين العيون من الخدود ؟ وأين الجافي من الودود . ؟ أنا أوفي بميثاقي ومن يزرني أجالسه على أحداق . فيقول لي من أفضت عليه السرور فيضا . لقد أكرمت ضيفك . فعليك الراية البيضاء . وأنت طالما جني شوكك على من جناك فذقت عذاب النار . ذلك بما كسبت يداك . سرقت لون الحبيب . واستترت بالورق فقطعوك والقطع حد من سرق . واستقطروا دمعك واذاقوك الحرق . وقيل لتركبن طبقا عن طبق . وأي فخر في احمرارك الشريق[3] وكم بين التبر والعقيق . فلا تبهرج زيفك على خالص اللجين[4] وارجع عن المناظرة فما جئتك الا بعين هذا ولي في السبق

«١» الشذا: الرائحة الطيبة «٢» نشوان: سكران

«٣» يريد الاحمرار الذي يخالطه شيء من الصفرة فلا يكون خالصا الى حمرة ولا الى صفرة «٤» اللجين : الفضة

قصبات . وكم جلوت صداع القلب بطيب النفحات . واذا وفد جيش الزهر فلى فى طلائعه عيون . والسابقون السابقون . اولئك المقربون وانشد .

فقت الزهور جميعها بتقدمى	فانا المقيم على الوفا يامتوهمى
أدعو الندامى للمسرة والهنا	وكما علمت شمائلي وتكرمى
وأقى الجليس بناظرى وأروقه	حسنا وساقى فى يديه ومعصمى
واغض طرفي ان خلا بحبيبه	وأصون سر العاشق المتكتم
واذا غفا المحبوب كنت لحفظه	خوفا عليه من الدبيب المجرم
واغازل الاجفان وهى نواعس	والىَّ تشبيه اللواحظ ينتمى
وترى حجيج اللهو حولى طائفا	وجميع أيامى كيوم الموسم
أين العيون من الخدود نفاسة	لولا فساد قياس من لم يعلم
فافهم وكن عن رتبتى متأخرا	واعلم بأن الفضل للمتقدم

فاحمر خد الورد والتهب . وظهرت فى وجهه صورة الغضب وقال ياقوى العين . ويالون اللجين ، خل عنك الحماقة ولا تدخل فى باب مالك به طاقة ، فاقد استحقيت المقت . ولا أبالى بك ولو برقت كيف تفاخر بصفارك حمرة الخدود ، ومن أين لبياض أجفانك المغازلة للعيون السود ، اتناظر بعماشك [1] عيون الملاح . ماأنت ياعيون النرجس إلا وقاح ، أتعيرنى بحسن الابتلاء وهو الأفضل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء » الأمثل

«١» العماش: ضعف البصر مع سيلان الدمع

فالآن مثل طالما ابتليت فصبرت ؛ وشكوت حالى بل شكرت ، أبيت بزفرة لا تخمد ؛ وادمعى تتحدر ؛ وانفاسى تتصعد . احبس بلا ذنب . واعصر فتجرى دموعى وماهى الا مهجة تذوب فتقطر ؛ وماضر ابراهيم القاؤه فى نار النمرود ؛ ولا شان يوسف سجنه مع فضله المشهود . مع انى طالما لثمت الثغور والاعناق ؛ وفزت بالثم والضم والعناق ؛ زكا منى الاصل والفرع . ولا انزل بواد غير ذى زرع . واقسم ببديع حسنى وتسبيح أوراق . وسموى عن مراعاة التطير [1] بتوجيه طباقى . ماأنت مجانسى فى المقابلة ؛ ولا موازنى فى المشاكلة . ولا لاحق فى الطى والنشر ؛ وأنا سيد زهر الربيع ولا فخر ؛ فلا تطل الشقاق والنفاق ؛ لابد لك من الوقوف فى خدمتى ؛ ولو قامت الحرب على ساق . وأى فضل لك فى التقديم وكم بين الحبيب والكليم [2] وان أردت كشف التابيس [3] . فتفكر فى فضل آدم على ابليس . وكم بين الشمس والنجوم . مامنا إلا له مقام معلوم ؛ وهل انت الا من بعض جنودى . والمبشرين بورودى ؛ وأنا منك بالفضل أولى . وللآخرة خير لك من الاولى وانشد

لم يزدك التقديم فى الفضل شيئا وانا ماانقصت بالتأخير
بيننا فى القياس فرق لطيف مثل مابين يوسف والبشير [4]

نحدق النرجس وحولق . ورفع رأسه بعد أن أطرق وقال :
افتخرت بآثارك فليست العين كالاثر . وان كنت مباشر الثغور

«١» التطير : التشاؤم (٢) الحبيب والكليم : يريد سيدنا محمدا وسيدنا موسى عليهما السلام (٣) التلبيس التدليس أو التخليط أى ان اردت الحقيقة (٤) يريد بالبشير

فانا لى حسن النظر : مع انهم ارخصوا بك فى التسعير . وما عصروك الا عن ذنب كبير . ولو لم تكن من المتمردين الانجاس ماحبسوك فى قماقم النحاس . انت فى افتخارك كما قالت الحكماء . انف فى الماء واست فى السماء . تتطفل على الموائد . ولا تصبر على طعام واحد . واقسم بقدى الرشيق ولونى الشريق [1] وبياض صحائفى . واخضرار سوالفى . لئن لم تصن بهجتك المسبوكة . وتستر فضائحك المهتوكة . لاقطعن طرقك المسلوكة . واجعلن حرفتك متروكة . ولا اترك لك فى عصبة الازهار شوكة . واذيقك عذاب الهون . أتعيبنى وكلك عيوب وكلى عيون . أنا طبعى الوفاء . وانت طبعك الغدر . وأنا أول من تنشق عنه الأرض من الزهر ولا فخر . ولولا خشية التطويل عددت معائبك على التفصيل ولكن شيمتى غض الطرف فى المجاس . وما أحسن الغض من النرجس وان تشبهت بالشمس انا بكسوفك شمت . وان كنت من السيارة فأنى من النجوم الثوابت : وشتان بين طالع وآفل . وكم بين مقيم وراحل . وان لم ترجع الى السكينة والوقار لأريك النجوم بالنهار . أين فيضان الزمرد من شوك القتاد [2] وكم بين مريد ومراد . واقسم بمن زين السماء بزينة الكواكب . ان لم ترجع لأرمينك بشهاب ثاقب . واساطع عليك رجوم نجومى واقول مضمنا قول ابن الرومى وانشد

عجبت للورد اذ وفى بناظره ... وزاد فى تقوله عجبا وفى شططه
يبدو وطياته من حول حمرته ... كصرم بغل وباقى الروث [3] فى وسطه

(١) الشريق: الحسن المشرق (٢) القتاد: شجر صلب له شوك كالابر (٣) الروث: الزبل

فخجل خد الورد حتى كلله من الطل[١] العرق . وكاد خوف الفضيحة يتستر بالورق . ثم انه استشاط كمن اطاق من عقال . وسطا على النرجس بشوكه و قال .

يانفاضة المحافل . ولفاظة المزابل . كم بين مهتوك ومصون . ومتروك ومخزون . فجل القضية انك راجل وأنا فارس . وتقوم فى الخدمة وأنا جالس . ولولا فجورك وقوة الحدقة ماجئت تزاحمنى فى الطبقة

فقال النرجس :

أنا عيون المجالس . وشموع المجالس . وانيس النديم وقد خلقنى الله فى احسن تقويم . من أين لك لطفى ودلالى . وقد فاتك لينى واعتدالى وبى تشبه عين الحبيب فاعلم . ولأجل عين الف عين تكرم وكثيرا بينك وبينى . وان عدت الى مثلها سقطت من عينى

فقال الورد :

والذى خلق الانسان من علق . والبس الخد حلة الشفق وضرج[٢] الوجنات بحمرة الخجل . وديج بالتوريد مواقع القبل . لقد جزت فى القول حدا . ولقد جئت شيئا ادا . تريد أن تميز نفسك بتقويمها . وانما الاعمال بخواتيمها . انا خد الحبيب نصيبى . والراح يتلمس ويتمسك بذيل طيبى . أتشك فى أن أحسن صفات المدام الوردية . لقد تفتت قلبى من عينك القوية . أتروم تغطى فضلى بغضا منك وسخطا . اما سمعت فى الامثال أن الشمس ماتتغطى وانشد

---

(١) الطل : المطر الخفيف (٢) ضرج : حمر

أنا والراح للأرواح راحـه | وكم فى قبض ساق بسط وراحه
أتعمى عن عيوبك اذ ترانى | بعين النقص ماذا الا وقاحه

فقال النرجس:

والذى زين العيون بالدعج (١) وارسالها فى فترة الاجفان الى المهج وفضل الانسان بالعين والعين بالانسان . وكحل بفنون السحر فتور الاجفان . ان لم ترجع عنى لاجردن سيفى من جفنى واطيح رأسك عند قدمك واخضبك بدمك ومن أنت فى البين وقد أصبح فضلى عليك فرض عين اتحاربنى وجيادى السوابق . وتناظرنى ونواظرى أحداق الحدائق . وفى فنور اجفانى من السحر فتون . أتشك فى أن الملاحة فى العيون وانشد

أنا مابين أصحـابى بعين | وفضلى راجح والورد دونى
وفىَّ من المـلاحة كل فن | بديع والمـلاحة فى العيون

فقال الورد:

أين السبل من الممتنع . وكم بين المتفرق والمجتمع . انت تبذل نفسك فتهان . وأنا اعز بصيونى (٢) عن ملامسة الندمان . وانت رقيب على العشاق فى المجالس الطيبة . واذا رميتهم بعينك يقولون ماذا الا مصيبة أنا ذو الوجه الاقمر والخد الازهر . واذا تأملت عيونك اذا هى بالساهرة كيف تناظرنى ولى وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة . وانت قد

---

(١) الدعج: سعة العين مع سوادها . أو شدة سوادها مع شدة بياضها
(٢) أى انى عزيز الجانب لانى أصون نفسى عن ملامسة الندمان وانت تبذل نفسك فتهان

ضربت عليك الذلة . وما اصفرارك الا لعله.

فقال النرجس :

ياقليل الوفاء : ويا كثير الجفاء . الم تعلم ان التخليق بالصفرة من امارات النصرة . وقال جماعة من الحكماء ان من أنحس الاشكال الحمرة.

فقال الورد .

هذا لونى مذ كنت فى أحشاء الاكمام مضغة . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

فقال النرجس: وهذا فضلى من الشواهد .

فقال الورد : مايصفر منا الا الحاسد .

فقال النرجس : لم تزل عين كل شىء أحسنه.

فقال الورد : لا تستوى السيئة ولا الحسنة.

فقال النرجس : ذهبت منك الحجة . واتضحت لى المحبة . فانا على المقدور ولى الفضل الاحمد بحضورى فى مقام المقر الشهابى احمد . وأنا المؤيد بفضل ظاهر لايختفى بحضورى فى حضرة مولانا قاضى القضاة الحنفى .

فقال الورد . وهذا مما يؤيد كلامى . ويرفع فى الفخر مقامى . فكم بلغت بحضرة المخدوم مقصودى ولم يزل الى المنهل العذب ورودى

قال الراوى : فلما رأيت كلا منهما قد جاء فى حجته بالبرهان والدليل ولم يتضح لى أيهما أحرى بالتفضيل . وضاقت على فى الفرق بينهما المسالك ورأيت مالكى بالمدينة فلم يجز لى افتى وفى المدينة مالك . لانه فريد

عصره فى علمه وآدابه . وهو الذى يفضل بيننا بفصل خطابه . كيف لا وهو شهاب له فى ذلك المعالى ارفع المراتب . ومن يسترق السمع يتبعه شهاب ثاقب

شهاب رقى بالسعد فى ذلك العلى   وعاد بفضل منه والعود احمد
فمن شافعى والوجد فى قلب ثابت   سوى مالكى كنز الفضائل احمد

وما أنا فى اهداء هذه النبذة اليه . وعرض بضاعتى المزجاة (١) عليه . الا كمن اهدى الى البحر قطرة . أو اتحف الروض بزهرة . وهو ذو الصفات التى فاقت على الراح والحبيب رقة ونظماً . وناظرت فعل المدام فكانت افعالها أسما . فلله در من سجع . ما افصح لسانه ، وابلغ بيانه . فلقد احرز قصبات السبق فى ميدان الكلام واتى بما يعجز عنه النثر والنظام



(١) المزجاه : القليلة

المحاورة الثالثة

بين القنديل والشمعدان

للمولى الفاضل البارع تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ابتدأها بأن قال

الحمد لله الذى انار حالك الظلماء. بأنوار بدر السماء، وحلى جيدها بعقود النجوم . وحرس مشيدها بسهام الرجوم وجعلها عبرة للاستبصار ؛ ونزهة للابصار . غشاؤها لازورد مكلل بنضار[١] أو أقاحى[٢] جميلة تفتحت فيها أزرار الازهار . تهدى السارى بسواريها : وتزرى بالدر أنوار داريها . كرع[٣] فى نهر مجرتها النسران . ورفع فى مراعى رياضها الفرقدان

احمده على نعمه التى لايقوم بشكرها لسان . ولا يؤدى واجب حقها انسان حمدا يجاب الى الحامد أنواع الاحسان . ويسوق الى الشاكر ركائب الخيرات الحسان . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذى أنار الله بوجوده ظلمة الوجود. واظهر بظهوره أفعال الركوع والسجود صلى الله عليه وعلى آله الوافين بالعهود . وعلى أصحابه اهل الافضال والجود صلاة وسلاما دائمين الى اليوم الموعود

وبعد فان فنون الآداب كثيرة الشعوب[٤] متباينة الأسلوب،

---

(١) الذهب (٢) جمع اقحوان . وهو البابونج نبات طيب الريح حواليه ورق ابيض ووسطه اصفر (٣) الكرع : الشرب بالفم بلا استعمال يد او اناء (٤) الشعوب: التفاريع

طالما تلاعب الأديب بفنونها بين جد ومجون ؛ وكيف لا والحديث ذو شجون ؛ وكنت بحمد الله ممن هو قادر على ابراز ملح الأدب . وعلى اظهار لطائف لغة العرب. فتمثل فى خاطرى المفاخرة بين الشمعدان والقنديل ، ولا بد من ابراز المفاخرة بينهما فى أحسن تمثيل . لأنهما آلتا نور ، ونديما سرور طالما مزقا جلباب الدجى باضوائهما ؛ وحسما مادة الظلمة بانوارهما ؛ وطلعا فى سماء المجالس بدورا ؛ واخجلا نور الرياض لما اصدرا من جوهرهما نورا . سما كل واحد منهما الى أنه الأصل وان يمدحه بحسن الفصل والوصل ؛ وانه الجوهرة اليتيمة والبدرة (١) التى ليست لها قيمة ؛ سارت بمحاسنه ركائب الركبان . و نظمت فى جيد مجده قلائد العقيان ؛ فاحببت أن أنظمهما فى ميدان المناظرة . ليبرز كل واحد منهما خصائصه الواضحة ؛ ويظهر نقائص صاحبه الفاضحة ؛ وليتسنم غارب (٢) الاستحقاق بالفضيلة ؛ ويؤكد فى تقرير فضائله الراجحة دليله ؛ مع انه لاتقبل الدعاوى الا بالبرهان ولعمرى لقد قيل قدما :

من تحلى بغير ماهو فيه فضحته شواهد الامتحان

---

(١) فى الاصل الكمية العظيمة من المال . أو عشرة آلآف درهم والمراد هنا الشىء النفيس (٢) مابين السنام والعنق

فاتلع [١] الشمعدان جيده للمطاولة ؛ وعرض سمهريه [٢] الاجينى للمناضلة وقال :

استنت الفصال حتى القرعى [٣]

لست بنديم الملوك فى المجالس ؛ كلا ولا الروضة الغناء للمجالس طالما احدقت بى عساكر النظار ؛ ووقفت فى استحسان هيا كلى رؤية الابصار . وحملت على الرؤوس اذا عاقت بآذانك . وجليت كحلاء المرهفات [٤] اذا اسود وجهك من دخانك

فنضنض [٥] لسان القنديل نضنضة الصل [٦] وارتفع ارتفاع البازى المطل وقال :

ان كان فخرك بمجالسة السلاطين . فافتخارى بمجالسة أهل الدين : طالما طلعت فى افق المحراب نجما ازداد علاء وازدانت الاماكن المقدسة بشموس انوارى حلا . جمع شكلى مجموع العناصر . فعلى مثلى تعقد الخناصر . يحسبنى الرائى جوهرة العقد الثمين اذا رأى اصفرار لونك كصفرة الحزين ولقد علوتك فى المجالس زمانا ومن صبر على حر المشقة ارتفع مكانا

---

(١) اتلع : اى رفع (٢) سمهريه : رمحه الصلب

(٣) مثل يضرب للذى يتكلم مع من لاينبغى أن يتكلم بين يده لجلالة قدره استنت : أى لعبت وركضت من النشاط : الفصال جمع فصيل : ولد الناقة . القرعى جمع قريع : الذى اصابه القرع من الفصال (٤) : السيف المرهف : الرقيق الحد القاطع يصف العيون الكحيلة بانها سيوف قاطعة (٥) تحرك (٦) الحية التى لاتنفع منها الرقية

فنظر اليه الشمعدان مغضباوهم بأن يكون عن جوابه منكباً وقال: أين ثمنك من ثمني. ومسكنك من مسكني ؟ صفائحي صفحات الابريز (١) فاذاسموت عليك بالتبريز (٢) تتنزه العيون في حمائلي الذهبية وتسر النفوس ببزوغ أنواري الشمسية. ولا يملكني إلا من أوطئته السعادة مهادها (٣) وقربت له الرياسة جيادها ، ولقد نفعت في الصحة والسقم. وازدادت قيمتي اذا نقصت في القيم. ان انفصمت عراك فلا تسعب ، ولا تعاد الى سبك نار فتصب وتقلب. لست من فرسان مناظرتي ، ولا من قرناء مفاخرتي.

فالتفت القنديل التفات ائذ مرغام ، وفوق (٤) الى قرنيه سهام الملام. وقال. انت عندي كتماله ، لا محاله ، طالك العنقود فابرزت أنواع الحقود. وأين الثريا من يد المتناول. أم اين السها (٥) من كف المتطاول ، تالله انك في صرفك (٦) بصفرك مغلوط. لقد خصصت بالعلو ، وخصصت بالهبوط . ترى باطني من ظاهري مشرقا ، وتخالني لخزائن الانوار مطلقا. فحديث سيادتي مسلسل. وتاج فضائلي بجواهر العلو مكلل.

فلحظه الشمعدان بطرف طرفه وأرسل في ميدان المناظرة عنان طرفه. وقال :

---

(١) : الابريز: الذهب الخالص. (٢) : التبريز : السبق. يقال برز الفرس تبريزا أي سبق الخيل في الميدان. (٣) مهادها : الفراش. يريد من سهلت له السعادة أسبابها . (٤) فوق : يقال فوق السهم. جعل له فواقا (موضع الوتر من القوس) يريد هيأه ليضرب به (٥) السها : كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم. (٦) أي في تزويق الكلام لاثبات فضلك.

ان افتخارك بالعلو غير مفيد . ومزية اختصاصك به ليس له أبهة مزيد . طالما علا القتام [١] . وانحط الفرسان ، ومكث الجمر وسما الدخان . ولقد صيرتك كنظر المشنوق حاله . وكعضو السها باله ، وأنت الخليق بما قيل .

(وقاب بلالب : واذن بلاسمع)

وسلاسلك تشعر بعقك . وعلوك ينبيء عن غلو اسقاط كثلك . عادلت التبر كفة بكفه . ووزنته اذ كان فيه خفه . فاصغ لمفاخري الجليلة . واستمع مناقبي الجميلة . اطارد جيوش الظلماء برمحي ، وأمزق أثواب الديجور بصبحي . جمع عاملي بين طلع النخل ، وحلاوة النحل . يتلو سورة النور لساني . ويقوى في مصادمة عساكر الليل البهيم جناني . أسامر الملك خلوه ، ويستجلي من محاسني أحسن جلوه . ولله در القائل :

انظر الى شمعدان شكله عجب كروضة روضت أزهارها السحب
يطارد الليل رمح فيه من ورق سنانه لهب من دونه الذهب

فمثل هذه المناقب تتلى . ومثل هذه المحاسن تظهر وتجلى .
فأضرم نار تبينه ، في أحشاء قرينه . فعندها قال القنديل :

لقد أطلت الافتخار بمحاسن غيرك . لما وقفت في المناظرة كاثب سيرك ، فاشكر اليد البيضاء من شمعك . واحرص على معرفة قيمتك ووضعك . وأما افتخارك بتلاوة سورة النور . فانا أحق بها منك اذ محلي

(١) القتام : الغبار

الجوامع والفرقان فارق بيني وبينك مع انه ليس بيننا جامع . ففضيلتى فيه بينة . وآية نورى فى سورة النور مبينة . فاقطع مواد اللجاجة . واقرأ الآية المشتملة على الزجاجة . يظهر لك من هو الاعلى . ومن بالافتخار الاولى . تخالنى درة علقت فى الهواء . وكوكباً من بعض كواكب الجوزاء

قنديلنا فاق بأنواره نور رياض لم تزل مزهره
ذبالة[1] فيه اذا أوقدت حكت بحسن الوضع نيلوفره[2]

لايحمل الاقذاء[3] خاطرى . ولايغتم مشاهدى وناظرى . فانا خلاصة السبك . والتبر الذى لايفتقر الي الحك . اشتقاق اسمك من النحوس . ومن جرمك تقام هياكل الفاوس . لقد عرضت نفسك المنية . وانعكست عليك مواد الأمنية . مع أن الحق أوضح من لبة الصباح . وأسطع من نور المصباح . والآن غصصت بريقك . وخفيت لوامع بروقك . فهذه الشهباء والحلبه[4] . وهذه ميادين المناضلة رحبة . فحار الشمعدان فى الجواب . وجهل ماأبداه اولافصل الخطاب .

فقال القنديل :

لابد من الاقرار بأن قدحى المعلى . وانى عليك بالتقديم أولى . وان مقامى العالى . ونورى المتوالى

(١) ذبالة : فتيلة . (٢) نيلوفره : ضرب من النبات ينبت فى المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق املس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر . (٣) الاقذاء : جمع القذى وهو مايقع فى العين والشراب من تبن ورمل ونحوهما (٤) الحلبة : الخيل تجمع للسباق .

فقال الشمعدان :

لامنازعة فيما جاءبه الكتاب من تفضيلك . وكونك الكوكب الدرى الذى قصر عن بلوغك باع مثيلك .

فجنح الشمعدان للسلم . وترفع عن استيطان مواطن الأثم . وشرع يبدى شمائر الخضوع . وينشر أعلام الأوبة عما قال والرجوع . وقال:

لولا حمية النفوس . ماتحملت بمفاخر ناصفحات الطروس . ولولا القال والقيل ، ماضمنا معرض التمثيل . ولكن أين صفاؤك من كدريه وأين نظرك من نظرى . خصك الله بنوره . وذكرك فى فرقانه وزبور .

فعندها تهللت أسارير القنديل ، وتبسم فرحاً بالتعظيم والتبجيل . وقال :

حيث رجعنا الى شرح الانصاف . واظهار محاسن الاوصاف . ففضلك لايبارى . ووصفك لايجارى . يحسبك الرائى خميلة [1] نور تفتحت أزهارها . وحديقة نرجس اطردت أنهارها . تسر بك النفوس . وتدار على نضارتك الكؤوس . وان اللائق بحالنا طى بساط المنافسة . واخماد شرر المقايسة . والاستغفار فيما فرط من كلامنا . والرجوع الى الله فى اصلاح أقوالنا وأفعالنا .

ونقول :

الاصل فيما نقلناه عدمه . فقد حق كل واحد منا فى ابراز معايبه قامه . ونسئل الله أن تدوم لنا نعمه . ويتعاهدنا فى المساء والصباح كرمه بمنه وجوده وكرمه آمين

---

(١) خميلة : شجر مجتمع كثيف .

مناظرة الازهار

للعالم العلامة والبحر الفهامة جلال الدين السيوطى

حدثنا الريان عن أبى الريحان عن أبى الورد أبان . عن بلبل الأغصان . عن ناظر الانسان . عن كوكب البستان . عن وابل الهتان[1] قال :

مررت يوماً على حديقة . خضرة نضرة أنيقة . طلولها وديقة[2] وأغصانها وريقة . وكوكبها أبدى بريقه . ذات الوان وأفنان . وأكمام وأكنان[3] واذا بها أزرار الازهار مجتمعة . وأنوار الانوار[4] ملتمعة وعلى منابر الاغصان أكابر الازاهر . والصبا تضرب على رؤسها من الاوراق الخضر بالمزاهر . فقلت لبعض من عبر . الا تحدثنى ماالخبر . فقال :

أن عساكر الرياحين قد حضرت . وأزاهر البساتين قد نظرت لما نضرت[5] . واتفقت على عقد مجلس حافل . لأختيار من هو بالملك أحق وكافل . وها أكابر الازهار قد صعدت المنابر . ليبدى كل حجته للناظر . ويناظر بين أهل المناظر فى انه أحق أن يلحظ بالنواظر . من بين سائر الرياحين النواضر . وأولى بأن يتأمر على البوادى منها والحواضر . فجلست لاحضر فصل الخطاب . واسمع مايأتى به كل من

---

(١) وابل الهتان : المطر الشديد الكبير القطر (٢) وديقة : جوانبها معشبه مخضرة (٣) : اكنان : جمع كن وقاء كل شيء وستره . (٤) الاول جمع نور وهو الضوء . والثانى جمع نورة بمعنى الزهرة . (٥) نضرت : يقال نضر الشيء اذا احسن والمراد بنضرة الازهار تفتحها

الحديث المستطاب .

(فهجم الورد) بشوكته ونجم [١] من بين الرياحين معجبا باشراق صورته وإفراق [٢] صولته . وقال :

بسم الله المعين وبه نستعين . أنا الورد ملك الرياحين . والوارد منعشاً الارواح ومتاعاً لها الى حين ونديم الخلفاء والسلاطين . والمرفوع أبدا على الاسرة . لا أجاس على ترب ولا طين . والظاهر لونى الاحمر على ازاهر البساتين . والعزيز عند الناس . والمودود بين الجلاس للائيناس والعادل فى المزاج . والصالح فى العلاج . أسكن حرارة الصفراء . وأقوى الباطن من الاعضاء . وأبرد أنواع اللهيب الكائنة فى الراس . وربما استخرجها منه بالعطس . وانفع من القلاع والقروح [٣] . وأنا بعطريتى ملائم لجوهر الروح . ومن تجرع من ماءى يسيراً نفع من الغشى والخفقان كثيراً . ودهنى شديد النفع للخراجات . وفيه مآرب كثيرة لذوى الحاجات . وأنا مع ذلك جلد صبار أجرى مع الاقدار . اذا صليت [٤] بالنار . فلهذا رفعت من أغصانى الاشائر . ودقت من داراتى [٥] البشائر . فاعملت لى المشاعر [٦] وقال فىّ الشاعر .

للورد عندى محل ورتبة لا تمل
كل الرياحين جند وهو الامير الاجل
ان جاء عزوا وتاهوا حتى اذا غاب ذلوا

(١) طلع وظهر (٢) إفراق : افاقة (٣) القلاع : بثرات تكون فى جلدة الفم واللسان الواحدة قلاعة والقروح : الجروح (٤) وضعت على النار للتقطير . (٥) داراتى : جمع داره ما أحاط بالشيء . (٦) : العلامات أعرف بها .

(فقام النرجس) على ساق . ورمى الورد منه بالاحداق وقال :

لقد تجاوزت الحد ياورد . وزعمت أنك جمع فى فرد . ان اعتقدت أن لك بحمرتك فخرة [١] . فانها منك فجرة [٢] وان قلت انك نافع فى العلاج فكم لك فى منهاج [٣] الطب من هاج [٤] فاحفظ حرمتك والا كسرت بقائم سيفى شوكتك . ويكفيك قول البستى فيك .

لايغرنك انى لين المس لأنى اذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ثم فيه لآخرين زكام

ولكن أنا القائم لله فى الدياجى [٥] على ساق . الساهر طول الليل فى عبادة ربى فلا تطرف أحداقى . وأنا مع ذلك المعد للحروب . المدعو عند تزاحم الكروب . الاترى وسطى لايزال مشدوداً . وسيفى لايزال مجروداً . وأنا فريد الزمان فى المحاسن والاحسان . ولهذا قال . فىّ كسرى انوشروان (النرجس ياقوت أصفر . بين در أبيض على زمرد أخضر .) وأنا المقرون فى مهمات الادواء بالصلاح . أنفع غاية النفع من داء الثعلب [٦] والصرع . ومن الدليل على صلاحى . أن أبانواس غفر له اثنى علىّ بابيات قالها بامتداحى .

تأمل فى رياض الأرض وانظر الى آثار ماصنع المليك

عيون من لجين شاخصات باحداق كما الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

---

(١) فخرة : فخرا (٢) فجرة : كذب (٣) اصل المنهاج : الطريق . (٤) : هاج : ذام (٥) الدياجى : ظلمات الليل (٦) داء الثعلب : علة معروفة يتناثر منها الشعر وسمى داء الثعلب لعروضه للثعالب

ولقد أحسن ابن الرومى حيث قال مبينا فضلى على كل حال :

ايها المحتج للورد بزور ومحال
ذهب النرجس بالفضل فانصف فى المقال

(فقام الياسمين) وقال : آمنت برب العالمين . لقد تجبست [1] ياجبس وا كثرك رجس نجس . وانت قليل الحرمة . واسمك مشمول بالعجمة . وكيف تطاب الملك وانت بعد قائم مشدود الوسط فى الخدمة رأسك لايزال منكوساً وانت المهيج للقىء المصدع من المحرورين للروس . اصفر من غير علة . مكسو أحقر حلة . ويكفيك بعض واصفيك .

اری النرجس الغض الزكى مشمراً على ساقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف من فوق رأسه عمائم فيها لليهود علائم

ولكن انازين الرياض . والموسوم فى الوجهه بالبياض . شطر الحسن كما ورد . وانا الطف من ورد جاورد . ونشرى اعبق من نشرك صباحاً و نداً . فانا احق بالملك منك منصوراً ومؤيداً . وانا النافع من امراض العصب الباردة . والملطف للرطوبات الجامدة . انفع من اللقوة والشقيقة [2] والزكام . ومن وجع الرأس البلغمى والسوداوى . ودهنى نافع من الفالج ووجع المفاصل . ويحلل الاعضاء

(١) تجبست : يقال تجبس فى مشيئته : تبختر . والجبس الجبان الاثيم
(٢) الشقيقة : وجع يأخذ فى نصف الرأس والوجه

ويجلب العرق الفاضل . يقول لى لسان الحال: (ألست الهزيل مقاما ياياسمين ويشهد لسان الألثغ بأنى الدر الغالى اذا قال : ياثمين

انا الياسمين الذى لطفت فنلت المنى
فريحى لمن قد نأى وعينى الى من دنا
وقد شرفت حضرتى لصبرى على من جنى

(فقام البان)وابدى غاية الغضب وأبان وقال :

لقد تعديت ياياسمين طورك . وابعدت فى المداغورك[١] وكونك اضعف الكون . وكثرة شمك تصفر اللون . واذا سحق اليابس منك ورض[٢] وذر على الشعر الاسود ابيض . واذا قسم اسمك قسمين صار مابين يأس ومين وان ذكرت نفعك فأنت كما قيل لا اساوى جمعك . ولقد صدق القائل من الاوائل.

لامرحبا بالياسمين وان غدا فى الروض زينا
صحفته[٣] فوجدته متضمنا يأساً ومينا

ولكن انا ذو الأسمين . والظافر بالأصل والفرع بالمقسين . والقريب من الباز . والمضروب بقدى المثل فى الاهتزاز . ازهارى عالية . وادهانى غاليه . وقد البست خاصة السنجاب[٤] . واتفق على فضلى الانجاب أنفع بالشم من مزاجه حار . وأرطب دماغه وأسكن صداعه . ودهنى نافع لكل وجع بارد ، وتحت ذلك صور كثيرة الموارد من الرأس

(١) غورك : عمقك (٢) رض : دق . (٣) التصحيف تغيير الكلمة بابدال بعض حركاتها أو حروفها (٤)حيوان يشبه اليربوع أكبر من الفار تتخذ من جلده الفراء

والضرس : ويكفى فى وردى قول ابن الوردى .

تجادلنا أماء الزهر أذكى أم الخلاف (١) أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا وقد وقع الوفاق على الخلاف

(فقام النسرين) بين القائمين . منتصراً لأخيه الياسمين . وقال: أتتعدى يا بان (٢) على شقيق . وأين الفرى من الذهب الدبيق ؛ ألم يعرفك الحال قول من قال :

لله بستان حللنا دوحه فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيراً رأت بعض الكلاب فنفشت أذنابها

ولكن أنا زين البستان . وفىَّ من الذهب والفضة لونان . أنفع من اورام الحلق . واللوزتين . ووجع الاسنان . ومن برد العصب والدوى والطنين في الآذان . واسكن القىء والفواق . وأقوى القلب والدماغ على الاطلاق وبى غاية الانتفاع . والبرى منى إذا الطخ به الجبهة سكن الصداع . ويكفيك من المعانى قول من عنانى :

ماأحسن النسرين عندى وما أملحه مذكان فى عينى
زهر إذا ماأنا صحفته وجدته بشرى ويسرين

(فقام البنفسج) وقد التهب . ولاحت عليه زرقه الغضب وقال:

أيها النسرين لست عندنا من المعدودين ، ولا فى الصلاح من المحمودين . لانك حار يابس انما توافق المبرودين ، ولا تصلح الا للمشايخ

(١) نوع من شجر الصفصاف (٢) البان : شجر سبط القوام لين ورقه يشبه ورق الصفصاف الواحدة بانه ويشبه به القد لطوله .

المباغمين. وانت كثير الاذاعة فلست على حفظ الأسرار بأمين. ويعجبني ماقال فيك بعض المتقدمين .

ولم أنس قول الورد لاتركنوا إلى معاهدة النسرين فهو يمين[١]
ألم تنظروا منه بنانا مخضباً وليس لمخضوب البنان يمين[٢]

ولكن أنا اللطيف الذات . البديع الصفات . المشبه بزرق اليواقيت . وأعناق الفواخيت[٣] ومزاجي رطب بارد . ومنافعي كثيرة الموارد : أولد دما فى غاية الاعتدال . وأنفع الحار من الرمد والسعال . وأسكن الصداع الصفراوى والدموى لمن شم أو ضمد . والين الصدر ، وأنفع من التهاب المعد[٤] وكفانى شرفا بين الاخوان . ان دهنى سيد الأدهان بارد فى الصيف حار فى الشتاء . فهو صالح فى كل الأزمان وذلك لأنه يسكن القلق . وينوم أصحاب الأرق . ومنافعي لاتحصى . وما أودعه خالقى فى لايستقصى . من رآنى آذن بالانشراح وتفاءل بالانفساح ألا تسمع قول من باح وصاح

يامهديا لى بنفسجا أرجاً يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلاً مصحفه بان ضيق الأمور بنفسح

(فقام اللينوفر)[٥] على ساق وحشد الجيوش وساق . وأنشد بعد اطراق

---

(١) فعل مضارع بمعنى يكذب (٢) اسم بمعنى الحلف (٣) جمع فاخته ذات الطوق من الحمام (٤) جمع معدة (٥) هو النيلوفر تقدم فى المناظرة الثالثة

بنفسج الروض تاه عجباً   وقال طيبي للجو ضمخ [١]
فأقبل الزهر فى احتفال   والبان من غيظه تنفخ

ثم قال للبنفسج :

بأي شيء تدعى الامارة .وتطاوع نفسك والنفس أمارة ؛وأكثر ما عندك أنك تشبه بالعذار وبالنار فى الكبريت [٢] وحاصل هذين يرجع إلى أشنع صيت ؛ وما من نفع ذكرته عنك إلا وأنا أفعل مثله وأكثر ، وأنا أحرى بسلامة العاقبة منك وأجدر ؛ من شرب اليابس منك ولده قبضاً على القلب ؛ وربّى فى معدته وأمعائه وأحدث له الكرب ؛وقد كفانا الورد مؤنة الرد عليك. وحذرنا من القرب منك والاصغاء اليك .فقال :

أعلى يفتخر البنفسج جاهلا   وإلى يعز كل فضل يبهر
وأنا المحبب للقلوب زمانه   وبمقدمى أهل المسرة تفخر

وقال الحاكى عن الورد الباكي

عاينت ورد الروض يلطم خده   ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وإن تضوع نشره   ما بينكم فهو العدو الازرق

ولكن أنا اللطيف الغواص . الكثير الخواص . أسكن الصداع الحار ، وأذهب بالارق والأسهار ؛ وما أحسن ماقال فى بعض واصفى

---

(١) لطخ (٢) يشير إلى قول القائل فى وصف البنفسج .
كأنه وضعاف القضب تحمله * اوائل النار فى اطراف كبريت

يرتاح للينوفر القلب الذى لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد أصبح فى الروائح عبده والنرجس المسكى خادم عبده
ياحسنه فى بركة قد أصبحت محشوة مسكا تشاب بنده [١]

ومنى صنف يقال له البشنين [٢] يشابهنى فى التكوين ، لا فى التلوين . ويحدث عند اطباق النيل ، وله فى منافع الطب تنويل : دهنه محمود فى البرسام [٣] إذا تسعط به ذو الاسقام . وقد أنشد فيه من أراد أن يوصله حقه ويوفيه

وبركة بغدير الماء قد طفحت بها عيون من البشنين قد فتحت
كأنها وهى تزهو فى جوانبها مثل السماء وفيها أنجم سبحت

(فقام الآس) وقد استعد وقال :

لقد تجاوزت بالينوفر الحد . الست المضعف للمرء فى قواه الجالب له صفة الشيخوخة فى صباه ، ولقد عرفك من قال حين وصفك

ولينوفر أبدى لنا باطن له مع الظاهر المخضر حمرة عندم [٤]
فشبهته لما قصدت هجاءه بكاسات حجام بها لوثة الدم

أنا المقوى للابدان . الحابس للاسهال والعرق وكل سيلان والمنشف من الرطوبات المانع من الصنان المسكن للاورام والحمرة [٥] والشرى

---

(١) تخلط بالعنبر . (٢) البشنين : نبات يسميه المصريون عرائس النيل لانه ينبت عند زيادة النيل يظهر صباحا ويغيب مساء (٣) البرسام : التهاب يعرض للحجاب الذى بين الكبد والقلب فارسى معرب معناه التهاب الصدر (٤) عندم : خشب شجر عظام وورقه كورق اللوز ساقه احمر يصبغ بطبخه ويلحم الجراحات ويقطع الدم ويجفف القروح (٥) : الحمرة : ورم من جنس الطواعين

والصداع والخفقان. وأنا الباقي في طول الزمان. وقال في بعض الاعيان

الآس سيد أنواع الرياحين ... في كل وقت وحين في البساتين

يبقى على الدهر لا تبلى نضارته ... لا في المصيف ولا في برد كانون

وقال آخر

للآس فضل بقائه ووفائه ... ودوام منظره على الأوقات

قامت على أغصانه ورقاته ... كنصول[1] نبل جئن مؤتلفات

(فقام الريحان) وقال يا آس لاجرحنك جرحا ماله من آس[2]

اذا قالت حذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حذام

وانا الوارد في عليكم بالمرزنجوش[3] فشموه فانه جيد للخشام[4]

وأنا أنفع من لسعة العقرب لمن باخل ضمد ودهني يدخل في الضمادات للفالج الذي يعرض فيه ميل الرقبة الى خلف. وفي تشنج الاعصاب ومع هـذا فأنا المنوه بأسمي في القرآن حيث يقال: فروح وريحان. وحسبك مني في التشبيه قول من قال على البديه:

أما ترى الريحان أهدى لنا ... حماحماً[5] منه فاحيانا

كأنه في ظله والندى ... زمرد يحمل مرجانا

فعطف عليه الآس وقال:

ياريحان. أتريد ان تسود وانت تشبه هامات العبيد السود. ألم يغنك

---

(١) جمع نصل وهي حديدة توضع في رأس السهم (٢) طبيب (٣) المرزنجوش: معرب مرزنكوش الفارسيه وعربيته سمسق او الياسمين (٤) الخشام: داء يعترى الانف. (٥) حماحماً: نبات طيب الرائحه يعرف بالحبق الليموني.

عن مقصورى قول الشهاب المنصورى

وريحان تميس به غصون　　يطيب بشمه لثم الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز　　وقد قاموا مكاشيف الرؤس

قال الراوى : فلما ابدى كل مالديه . وقال ماورد عليه . اتفق رأى الناظرين . وأهل الحل والعقد من الحاضرين . على ان يجعلوا بينهم حكماً عادلا يكون لقطع النزاع بينهم فاصلا . فقصدوا رجلا عالماً بالاصول والفروع . حافظاً للآثار الموقوف منها والمرفوع . عارفاً بالانساب . مميزاً بين الاسماء والالقاب والاتباع والاصحاب . مديد الباع . بسيط اليدين فى معرفة الخلاف والاجماع . خبيراً بمباحث الجدل . واستخراج مسالك العلل متبحراً فى علوم اللغة والاعراب . مطلعاً بعلوم البلاغة والخطاب . محيطاً بفنون البديع . حافظاً للشواهد الشعرية التى هى ابهى من زهر الربيع . شديد الرمية . سديد الاصابة الشعر والنظم صوغ بيانه . والنثر والانشاء طوع بنانه . والتاريخ الذى هو فضيلة غيره فضلة ديوانه . فلما مثلوا بين يديه . ووقعت اعينهم عليه قالوا :

يافريد الارض . ياعالم البسيطة مابين طولها والعرض . إنا اخصام بغى بعضنا على بعض . فانظر فى حالنا . لنكون لك ذخيرة يوم العرض واحكم بيننا الحق واقض لأينا بالملك احق فقال :

ايتها الازهار انى لست كالذى تحاكم اليه العنب والرطب . ولا الذى تقاضى اليه المشمش والتوت . ولا التين والعنب انى لااقبل الرشا .

ولا اطوى على الغل الحشا : ولا اميل مع صاحب رشوة . ولا استحل من مال المسلمين حسوة . انما احكم بما ثبت فى السنه . ولا اسلك الا طريقاً موصولا للجنة . فقصوا على الخبر . لاعرف من فجر منكم وبر . فلما قص عليه كل قوله . وابدى هينه وهو . . . :

ليس احد منكم مستحقا للملك . ولا صالحا للانخراط فى هذا السلك ولكن الملك الاكبر . والسيد الابر . وصاحب المنبر . ذو النشر الاعطر والقدر الاخطر . السيد الايد الصالح الجيد هو الفاغية (١) وقد جاء فى الحديث : ان سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية . اشتمل على ما فى الرياحين من الحسنى . وحكم له بالسيادة . وشهد له بها وناهيك بالشهادة

قال : فلما سمعت الرياحين الاحاديث فى فضل الفاغية . اطرقوا رؤسهم خاشعين . وظلت اعناقهم لها خاضعين . ودخلوا تحت امره سامعين طائعين . ومدوا ايديهم لها مبايعين بالامرة ومتابعين . وقالوا لقد كنا قبل فى غفلة عن هذا انا كنا ظالمين . وانا اذا لمن الآثمين وقضى بينهم بالحق . وقيل الحمد لله رب العالمين .

(١) الفاغية : زهر الحناء .